203 - ـ فصل : الكبر و خطره على العالم .

انتقدت على أكثر العلماء و الزهاد أنهم يبطنون الكبر .

فهذا ينظر في موضعه و ارتفاع غيره عليه و هذا لا يعود مريضا فقيرا يرى نفسه خيرا منه .

حتى إني رأيت جماعة يوما إليهم منهم من يقول لا أدفن إلا في دكة أحمد بن حنبل و يعلم أن في ذلك كسر عظام الموتى ثم يرى نفسه أهلا لذلك التصدر .

و منهم من يقول : ادفنوني إلى جانب مسجدي ظنا منه أنه يصير بعد موته مزارا كمعروف الكرخي .

و هذه خلة مهلكة و لا يعلمون .

قال النبي صلى ا عليه و سلم : [من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر] .

و قل من رأيت إلا و هو يرى نفسه .

و العجب كل العجب ممن يرى نفسه أتراه بماذا رآها ؟ .

إن كان بالعلم فقد سبقه العلماء و إن كان بالتعبد فقد سبقه العباد أو بالمال فأن المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية .

فإن قال : قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني فما علي ممن تقدم .

قيل له : ما نأمرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف .

و لا يا فقيه أن ترى نفسك في العلم كالعامي .

إنما نحذر عليك أن ترى نفسك خيرا من ذلك الشخص المؤمن و إن قل علمه .

فإن الخيرية بالمعاني لا بصورة العلم و العبادة .

و من تلمح خصال نفسه و ذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب و التقصير و هو من حال غيره على شك .

فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس و رؤية التقدم في أحوال الآخرة و المؤمن لا يزال يحتقر نفسه .

و قد قيل لعمر بن عبد العزيز Bه : إن مت ندفنك في حجرة رسول ا صلى ا عليه و سلم ؟ .

فقال : [لأن ألقى ا بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلا لذلك] .

و قد روينا : أن رجلا من الرهبان رأى في المنام قائلا : يقول له : [فلان الإسكافي خير منك] فنزل من صومعته فجاء إليه فسأله عن عمله فلم يذكر كبير عمله .

فقيل له في المنام : عد إليه و قل له مم صفرة وجهك ؟ .

فعاد فسأله فقال : ما رأيت مسلما إلا و ظننته خيرا مني فقيل له : فبذاك ارتفع